وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلاة
ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه ثم مشركوا
قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم
التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا
فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب
فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا به فسوف يعلمون مغبة
تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وفي ذلك انهم كانوا يقولون مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم واخره الكلمة
قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات
عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا
والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا
وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم
انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم
في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا
يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم
واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من
الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول
عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن
القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة وابصرهم
وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة فسوف يبصرون ما يقضى
لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال

على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها
قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف
يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه
بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا
اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة
وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا
وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس
بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن
مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك
ذهب بزيد ويجوز نزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام
في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول
رسول الله يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله خيبر وكانوا
خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم
فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين فانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد
الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه
تبصرهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل
اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة اضيف الرب الى العزة
لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز
ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها لقوله تعز
من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو
منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم
فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)